

السوريون في الولايات المتحدة

(٤)

احوالهم الاجتماعية

«ساكنهم» تقدم معنا ان السوريين بطبيعة احوالهم يؤثرون الكنى بين الاميركيين على الاقامة في مستعمرات خاصة بهم كما يفعل الكثيرون من المهاجرين. وبذلك يقتسمون من الوطنيين طرائق المعيشة الحديثة وامور تدبير المنزل ووسائل النظافة والترتيب بينما تكون المستعمرات الاجنبية في الغالب في الاحياء المظلمة القذرة الضيقة الطالية من الوسائل الصحية حيث الهواء التي ضرب من الترف واشعة الشمس لا تدخل بدون اجازة. في مستعمرات كهذه يسميها الاميركيون (Slums) ويصعب على الشرقي تصورها لعدم وجود ما يعاينها في بلاده. — يقيم الآلاف المؤلفين من الايطاليين واليهود والصينيين مزدحمين بمزل عن الحياة المدنية فكانهم في العالم الجديد وليسوا منه وكان مستعمراتهم تقع مستنقعات راكدة ساكنة على شاطئ نهر المدينة الجارف

وجود هذه البقع في جسم البلاد هو من اهم المضلات التي يعالجها المسلحون فيها وهو اعظم عثرة في سبيل «تأرثك» ساكنها واندماجهم مع الوطنيين وليس نند السوريين ما يقابل شيئا من ذلك على الاطلاق. فمستعمرتهم في وشنطن ستريت بنيويورك كادت تصبح الآن سوقا تجارية لاحياء للاقامة. واحياؤهم في فيلادلفيا وستنتان وستنت لويس والبي مزدحمة قذرة ولكن مسر هوطن تقول (١) «ومع ذلك فان احقر بيت سوري في البي يتفوق بنظائره كل بيوت الايطاليان الذين يقيمون بينهم» وتضيف مسر هوطن الى ذلك قولها «ان بيوت الطبقة الراقية من السوريين المقيمين في جنوب بركلين تفضل بيوت ابي كان من المهاجرين من كل الشعوب في سائر انحاء الولايات المتحدة». ولما درست لجنة المهاجرة (٢) احوال المهاجرين البيئية في ارباه احياء نيويورك وشيكاغو وفيلادلفيا وبوسطن وكليفلند وبنغو وملواكي وجدت ان في ثلثة

(١) "The Survey" عدد ١ تموز سنة ١٩١١

(٢) "Reports" مجلد ١ ص ٧٢٧

٢٦٦١ من ال ٣٥٧ بيتاً سورياً التي خصتها بجوزان تُمنح « بجيدة » من حيث النظافة والاعتناء وفي المئة ٥٨٦٣ « صالحة » و ١٣١٦٤ « رديئة » و ٢١٢٢ « رديئة الى الغاية » . يقابلها ٤٥٧٣ في المئة من ال ١٢٣ ١٠ من بيوت الوطنيين والاجانب غيرهم بجوزان تُمنح « بجيدة » و ٣٩ في المئة صالحة « و ١٢ « رديئة » و ٢٦٩ « رديئة جداً »

﴿ الملاهي ﴾ الطرز القديم من السوريين لا يجدون في غير فرقة النارجيلة ومن القهوة العربية تلبية لهم في غربتهم وسلواناً يقدرهم على احمال متاع حياتهم الجديدة الغربية فيقبلون عليها في المطاعم والحلات الشعبية بانقهاوي . اما الاحداث منهم فيترددون على قاعات الصور المنحرفة والسيارات وبعضهم على قاعات الرقص الا ان عدد الاخيرين اقل مما كان ينتظر منهم بين قوم يبدون الى الرقص وليس للسوريين شغف بالالعاب الرياضية في القضاء لانهم اعتادوا في بلادهم الحارة البراليطي ، والاكتفاء بلعب « الطاولة » التي لا تستزم حركة بدنية عنيفة وذلك برغم كونهم في وسط كل حركة واندفاع وبين قوم ينزل لاعب الكرة base ball منزلة الابطال ويقدم له الاحرام والاحترام . لذلك نجد عدد السوريين الذين يدخلون في عضوية الجميات الرياضية وجميات الشبان المسيحيين قليلاً

﴿ العيشة العائلية ﴾ السوري حيث كان يرغب في العيشة البيئية ولا ينجح الى عيشة النوادي الاجتماعية Social Clubs وهو لم يزل في الطور الذي تعتبر فيه العلاقة الزوجية امرأ مقدساً . فضائله بالاكثرفضائل طائفة . ولا يمكن فهم مستواه الادبي ما لم تدرك هذه الحقيقة اولاً . فالوالد هو رأس العائلة القوي على آدابها ويتحتم على المرأة والاولاد معاملته بالتعظيم والاحترام . الاخلال بالفضيلة الزوجية امر يكاد يكون مجهولاً والطلاق الذي يعتبره المصلحون الاميريكيون غيمة سوداء في افق مدنيتهم غير معروف عند السوريين . انما المشكلة العائلية الكبرى هي وجود هوة اجتماعية عقلية بين الوالدين اللذين لا يعرفان غير العربية وهما من ذوي الافكار القديمة وبين الاولاد المولودين والمترين في الولايات المتكلمين بالانكليزية وذوي الافكار الحديثة . فالوالد يعيل لان يطلب من بني طاعة عمياء كما طلب منه والده في احدى مزارع لبنان والابن الدارس في المدرسة الاميريكية الصومية يصعب عليه ان يحترم ويطيع والداً بحبه دونة من

حيث التكيف واتقان اللغة لاسيما بعدما يعرف درجة الحرية التي يتمتع بها
الاولاد الاميركيون

جاء معنا ان الذي يهاجر يكون غالباً من ذوي النفوس الطاهرة والنظر
البعيد والعقول المستعدة للتغير وان المحيط الجديد يوظف فيه مواهب كانت ربما
لم يشمر قط بوجودها لو لم يهاجر. ومن الحقائق التي قررها علماء الاجتماع
فوق ذلك ان الاولاد الاول المولودين من آباء اجانب في بلاد غريبة يسوا في
الغالب مثل آباءهم ولا مثل القوم الذين ولدوا بينهم. يعوزهم كثير من مواهب
آبائهم ومن مواهب ابناء الوسط الجديد ليعتاضوا بها. فهم عقلياً ومن حيث
اخلاق الموروث - لا المكتسب - دون الفريقين. ذلك امر ايدته ملاحظاتي
في الابناء السوريين الاميركيين. وللآن لم تُدرِك السن التي تير عليها هذه
التغيرات ولا مدة استمرارها في الاجيال التالية. ويرجح ان الجيل التالي
يفضل الجيل الاول من المولودين

﴿ جمعياتهم ﴾ السوريين في نيويورك وحدها ٢٥ جمعية (منها اربع للنساء)
اساس العضوية في بعضها كجمعية الشبيبة البيروتية وجمعية رام الله جغرافي وفي
بعضها الاخر كجمعية المارونية طائفي وفي غيرها كالتنضيد البنائى سياسى وفي سواها
تهذيبى او خيرى. وليس لهم جمعية جامعة تغنلهم كجسوع وتظهرهم بالمظهر الحسن
اللائق بين الجاليات وتجاه الوطنيين كما هي الحال في الجامعة اليونانية لليونانيين
الامر الذي يدل على عدم التوحدة الفكرية بينهم. ولقد بلغت رغبتهم في الجمعيات
المتقنية بينهم درجة جعلت احد اطباهم يقول منذ طمىن انهم معاين بمرض
جديد سماه مرض الجمعيات

وليس بين جمعياتهم على كثرتها جمعية فوضوية او اشتراكية برغم انتشار
مبادئ كارل ماركس انتشاراً غريباً في اواخر مدة الحرب والايام التي عقبها.
وكانت وزارة الداخلية توجس خوفاً من انتشار المبادئ البلشفية والاجتماعية
المتطرفة وتقف بالمرصاد لجمعيات الاجانب ولكنها لم تشبه قط باحد من
السوريين. ولما سألتني في جملة من سألت عن تعليل ذلك اجبت ان السوري
بورائته وتطبعه افرادى الى درجة متناهية قيانف من كل مشروع اساسه
نظرية اجتماعية. ويظهر انها اصبحت بعدئذ عاماً من تام منهم لانها اغتصت ضمهم

تمام الاغشاء وحولت نظارها في وجهات اخرى . واتصل بي ان احدهم حاول مرة تأهيس فرع للاشترابية في واشنطن سئرت فاحقق معاه

مستواهم الادبي

﴿ الفسيلة الاجتماعية ﴾ السوريون في الولايات المتحدة عبارة عن قوم تكتشفهم نتائج المدنية الحديثة وانعاشها - من حرية وديمقراطية ومساواة - دون ان يكونوا في تاريخهم قد تطوروا واجتازوا الادوار الاجتماعية التي اتحت تلك الآثار وبالتالي دون ان يكون قد تولدت فيهم الحواجز والرادعات النفسية اللازمة لدفع الفرد عن التوغل فيها واساءة استعمالها . فلا عجب اذا حسب بعض شبانهم الحرية فرضى والمساواة مباحة وعناداً لاسيما وان الربط التي كانت تربطهم بقومهم وطائلتهم وكنائسهم في وطنهم القديم تكاد تكون مفصومة المرى انما العجب ان عدد الفاعلين ليس بأكثر مما هو

ويظهر من شهادات الاطباء الذين يمارسون الطب بينهم ان عدد المصابين منهم بالامراض الجنسية قليل جداً بالنسبة الى عددهم وبما يستحق الذكر والافتخار ان تقارير البوليس لا تشير الى وجود امرأة سورية واحدة مشتبه في حسن سمعتها

﴿ ادمان الخمر ﴾ قل ان وضعت الحكومة الاميركية منذ طامين قانوناً يحظر صناعة الاشربة الا الكحولية والاتجار بها وشرها كنت ترى على زاوية كل شارع تقريباً في مدن الولايات هيكلاً لعبادة اله الخمر او سالوناً في اصطلاح الغربيين . ويقابل العالونات عند السوريين القهاوي وضررها لا يذكر في جنب ضرر الصالونات بما فيها من الوسكي والبيرة والخمور وما ينتج عن اداعتها من الجرائم وحوادث الطلاق حتى ان المفكرين من الاميركيين اجموعاً على ان المسكر هو آفة الآفات في المدنية الحديثة

لا يقهم من هذا ان السوريين لا يشربون انما عدد مدمني الخمر منهم اقل من عدد مدمنيها بين سائر المهاجرين وبين الاميركيين انقسم باختبار النسبة المدنية . ولطالما اثنى كتبة الاميركان على هذه الحسنة فيهم وحسبوا ما اكيل فضائلهم وكالاتهم . ولقد حاول احدهم مرة فتح صالون في واشنطن سئرت قلتي اظلية واتشل كما لتي محاول زرع بذور الاشترابية . ولما اخذت مستعمرتهم في

شيكاجو تمتد الى شارع اسمه شرمان تكثر فيه الصالونات اخذ اصحاب الحانات هناك
يهجرون ذلك الشارع

وفي مقالة نشرها الاديب ميشال معلوف في جريدة بوسطن المسائية (١)
ان سيدة امريكية بعد درسها احوال السوريين الاجتماعية في تلك المدينة سنين
عديدة صرحت بانها في خلال ثمان سنوات لم تقع عينا على امرأة سورية في
حالة السكر ولم ترى سوى رجل واحد سكران

«الميسر» كما ان الضيافة هي اعقد فضائلهم كذلك الميسر هو شرذمتهم.
وقليل من السوريين في الولايات من لا يعرض اساليب المقامرة وكثير منهم من
يعارسها. ولا شك ان الاقدمين من سوريين وغيرهم كان لهم الملم بالعباد مدارها
ألحظ والنصيب ولكن القهار كما يعارسه المتمدنون فن مستحدث جديد

ويظهر من تقرير منزل دنيس الاجتماعي في بوسطن Denison House
ان منظر الاولاد السوريين يلبسون في جيم «بالكراب» (٢) Crap اصبح
امراً اعتيادياً مألوفاً لاسباب الاحاد والاعيان

«الجرائم» المتعارف بين الاميركيين وغيرهم ان معظم الجرائم يرتكبها
الاجانب في الولايات المتحدة ولكن التقارير الرسمية تثبت ما يخالف ذلك.
وليس بين المهاجرين اتق صحيفة من ابناء سوريا. فلارلنديين هنالك جمعية
على منور «Molly Maguires» الموضوعية وللإيطاليان اليد السوداء
وللارمن جمعية التدايين كتشاك واليهود والافرنسيس تجارة الرقيق
الايض وليس لسوريين شيء من هذا القبيل. فهم باجماع شهادة العارفين
محبون لسلام خاضعون لشرائع البلاد فاكفون على العمل والتحصيل

قال الاستاذ مر (٣) احد المدرسين في جامعة برنستون «ليس من يفضل
السوري في محبة للنظام ومحافظته على القانون. ولقد توليت بنفسي فحص تقارير
المحاكم والبوليس فوجدتها تشهد ان ليس بين شعوب نيويورك شعب مسلم مثله»

(١) Boston Evening Transcript عدد ٢٢ آب سنة ١٩١٧

(٢) هي لعبة قوامها رمز حجري الزهر بالتعاقب واعتبار العدد من ٧ و١٢ والخبز

(٣) Lucius H. Miller. "A Study of the Syrian Population of Greater

New York" ص ٥١

وقالت مزره وطن في مقالاتها المذكورة آتقاً « استشهدتُ انفضاة والحكام في كل المدن التي يكثر فيها السوريون فوجدتهم صوتاً حياً تاملاً بتفوق السوريين على سائر شعوب الارض بالسكينة والحفاظة على شرائع البلاد المتيمين فيها »

ومن امعن النظر في حوادث الجرائم التي يقرقها السوريون يرى ان اكثرها من النوع البسيط كالتجول لبيع بدون رخصة رسمية او الملبب عن جهل اللغة ومصطلحات البلاد . ولقد حدثني مرة عامل عن نفسه قال انه كاد يفقد حياته ذات يوم وهو مجتهد في الصباح الباكر لمباشرة عمله في مصنع للاسلحة فمن له ان يختصر الطريق ويقفز من فوق سور المعمل ولما اتهمه الحارس وامره بالوقوف عند الى الركن لانه لم يفهم مراده كما انه لم يفهم الكتابة الناهية عن التوث من فوق السور . ومن حوادث هذا الرجل وهو مولود في قرية دقوق بلبنان انه كان في خدمة فلاح في ولاية كليفورنيا فسمع يوماً مستخدماً يقول لابته انه عازم على ان يذبح ديكاً حبشياً واسمه بالانكليزية «توكي» (Turkey) في عيد الشكر (وهو آخر خميس من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) تحتفل فيه الامة الاميركية والكل يفترون ديكاً رومياً) فغضب عليه بصفته «توكياً» غمياً . وما اتى الليل سدوله حتى تأبط حوائجه واذعن الى الفرار . فلاحظ الفلاح ذلك منه وظنه سارقاً فهم بلحاقه وبنذقيته في يده يطلقها عليه الى ان توارى عن الابصار وراء اشجار الغابات الكثيفة

وفيما سوى ذلك جرائم السوريين قليلة مقتصره على المشاجرات وتهريب البضائع من الكرك

ومن عادة السوريين ان يقوموا في اثناء مشاجراتهم بضجعات عالية فيتوهم البوليس ويخبروا الجرائد ان لحدث جلل لا بد ان يسفر عن قتل وجرح الكثيرين . وما قاله الاستاذ فارشيلد عن اليونانيين يصح عليهم وهو « ان بحارة قارب واحد من اليونان يقومون بضجة وجلبة لا يحلنها اميرال انجلوسكسوني يدور اسطوله » . فالشغب الذي جرى بين الموارنة والروم في نيويورك سنة ١٩٠٥ لا يزال اثره السوي في اذهان الاسيركيين للآن لانه كان اول واسطة للتعارف بين الفريقين كشمين فتسجت حوله الجرائد الاميركية المقالات الضافية وزينت بالرسوم واحلتها المقام الاول في صفحاتها . ومنها جريدة نيويورك هرالد المحبوبة من

المحافظات الرصينات بين الجرائد الكبرى في البلاد فانها حيرت مقالاً طويلاً في هذا الموضوع وعنوانته بأحرف ضخمة بارزة هكذا: « حرب الاحزاب السورية في نيويورك . جراح بالمدى وبالرصاص . الاخ على اخيه وابناء البلدة الواحدة ضد ابناء البلدة الأخرى . اصدقاء الامس اعداء اليوم . حرب شرقية اسلحتها اميركية . عويل النساء وصعيق الاطفال يشق كبد السماء الخ الخ » وكذلك فعلت جريدة تيمس نيويورك والحال ان نتيجة القتال كله رغم تجدد وقعاته كل يوم مدة اسبوع لم تكن سوى قتييل واحد وجرحى يمدون على الاصابع (علاقتهم بالوطنيين) السوريون مع كثيرهم في اعتبارنا هم في نظر الحقيقة تقطع في بحر المهاجرين الى الولايات المتحدة وكثيرون من سكانها الآن لم تقع عينهم على سوري وستة ١٩٠٩ رفضت محكمة سنت لويس سوريًا طالباً التجنس بالجنسية الاميركية بدعوى انه من غير الجنس الابيض . فاستوقفت دعواه الى المحكمة العليا واتخذت المسألة اهمية وطنية الى ان تبغضت المحكمة العليا حكم المحكمة الابتدائية . وكذلك فعلت محكمة الاستئناف في نيويورك عند ما رفض قاضي المحكمة الابتدائية فيها منح الرعية لطالب آخر من السوريين

ومن المرجح ان جماعة من المبشرين مدفوعين بعامل استهزاء هم قوسهم واثارة عواطفهم لعرض المشاريع التبشيرية في سوريا اظهروا السوريين بعظم غير لائق . فكنت احياناً اترعرع بشخص في كنيسة او اجتماع ديني فيألني عن عدد السنين التي مرت منذ اعتناق المسيحية وهما اذا كان والداي مسيحين فاجيبه بالطف اسلوب ممكن ان عهد تنصير آبائي يرجع الى ايام بولس الرسول . اما تأثير اساتذة الجامعة الاميركية فكان بالاجمال على ضد ذلك . ومن هؤلاء الاستاذ مار من جامعة پرنتون الذي استشهدنا به سابقاً والدكتور ليري (١) الذي كتب في احد تأليفه ما تعريبه : « ابن اي فلاح سوري كان ربما اصبح في مستقبل الايام موظفاً كبيراً في حكومة مصر او تاجراً مثيراً في الارجننتين او شاعراً باللغة الاقربية او راعياً لكنيسة اميركية في الولايات المتحدة . وان الترجمان الذي يرافقك في سياحتك الى الارض المقدسة ربما كان صاحب تأليف بالانكليزية القصصى تشتهي ان تطلع عليها او جراحاً تنفذك برأته من خطر الموت . وما

(١) Lewis G. Leary, "Syria the Land of Lebanon." ٢٥—٢٤

هذه نظريات اتوهمها بل حقائق أبنها على سير اشخاص اعرقهم. ومن ابناء سوريا في ارض المهجر من سعى سعياً وجاهد جهاداً يذكرنا بقصة غريفيلد او لنكلن (من رؤساء الجمهورية الاميركية واعظم البطالها) ٠٠٠ فالسوري مقتصد معتدل طمّاح الى العمل ودود قابل للتكيف، ضياف لاغرباء لطيف العشرة ذو عقل نير وطبيعة دينية وميل الى التضحية في سبيل قايمة يعتمدها»

وما اللوم كله على الاميركيين في انهم لا يفهمون السوريين بل على السوريين انفسهم فانهم هنالك—على ما قالت لي سيدة اميركية تعجب بهم وتغار على صديقتهم—مختبثون وراء جرائدكم ولغتهم العربية. وهالك مثالا من جريدة عربية وصلتني اليوم من نيويورك وفيها نبأ مقابلة الوفد الصهيوني للرئيس هاردنغ وتصريح الرئيس باستمداده لبعض الفكرة الصهيونية. ولقد عقب المحرر على ذلك بمقال طويل جاء فيه ان هاردنغ لا يعرف نسبة اليهود العديدة الى بقية العناصر في فلسطين الى آخر ما هنالك من الحجج المألوفة عندنا والتي لا سبيل لها للوصول الى الرأي العام، لم تصدر باللغة الانكليزية. فرسالة بالانكليزية ترسل الى محرر جريدة اميركية او الى البيت الابيض راساً خيراً من مجلد يكتب بالعربية وربما كانت كتابات القس ابراهيم الرحباني وتأليفه الانكليزية وانحصرت « المسيح السوري » "The Syrian Christ" من اكبر العوامل التي تساعد الاميركيين على فهم السوريين وتقديرهم قدرهم

وبقيت الحال على ذلك الى ان جاءت الحرب العظمى وظهر السوريون بمظهر وطني شائق وبرحمتها بخدماتهم اخلاصهم الشديد الحكومة اميركا وتعلقهم بعبادتها كما سنبينه فيما يلي فبدأ شعور الوطنيين للحال يتغير نحوهم. فلو لا الحرب لما كان الاستاذ كول (١) كتب عنهم ما كتب في رسالته نشرها المجلس الهندي في ولاية ماستشوستس. ومن قوله « السوريون شعب على جانب عظيم من الذكاء والتدين وفضاء المزرعة. وهم يفاخرون بمجسديتهم ويقبلون على التهذيب ويخلصون لمعامل الصراخ في هذه البلاد. ومن فضائلهم لطف المعاشرة واکرام الضيف والاعتدال»

فيليب حني

(ستأتي البقية)

William J. Cole, "Immigrant Races in Massachusetts, the Syrians". (١)